المحاضرة السابعة

"وظائف المعاجم"

إنّ قراءة متأنية في عناوين المعاجم العربية تكشف عن" تنوع مهامها ووظائفها، مما يجعلها عرضة للتطور والتجدد المستمرين. فهي مرآة تعكس تطور اللغة وتحولاتها، حيث تتضمن الإضافات والتعديلات التي تواكب التغيرات اللغوية. ولذلك، اكتسبت المعاجم صفات متعددة، فهي عين اللغة التي ترصد دقائقها، وأساس بلاغتها الذي يحفظ جمالياتها، وصحاحها الذي يصون قواعد اللغة، ومحكمها الذي يضبط معانيها، ومقاييسها التي تحدد أوزانها، ومهذبها الذي يرتقي بمستواها، وعبابها الذي يضم كنوزها، وقاموسها الذي يحتوي مفرداتها، ولسانها الذي يعبر عن أفكارها، ومصباحها الذي ينير طريق الباحثين، وتاجها الذي يتوج جهود اللغويين"[1] . كما يبرز المعجم العربي كإنجاز علمي مبهر، حيث بُني على أسس منهجية دقيقة وطرق بحث موضوعية متنوعة. لم يغفل واضعو المعاجم أي مجال من مجالات اللغة، بل سعوا إلى استيعاب كافة جوانبها وتصنيفها بأسلوب منهجي. إن عملية جمع كلمات لغة ما وترتيبها وتصنيفها في مدونة لغوية شاملة تتطلب جهداً مضنياً ودقة بالغة، مما يجعل المعجم صناعة لغوية بامتياز. وقد أقرّ رئيس الجمعية اللغوية الأمريكية، أرجبولد، بأهمية المعاجم ودورها المحوري في توثيق اللغة، حيث وصفها بأنها من أهم الكتب التي يمكن تدوينها على الإطلاق[2]. تسلط مقدمة ابن منظور في كتابه "لسان العرب" الضوء على قضية نظرية أساسية، وهي العلاقة بين الجمع والوضع في اللغة. فهي قضية قديمة وحديثة في آنٍ واحد، حيث تطرح تساؤلات حول كيفية التوفيق بين هذين العنصرين المهمين في معادلة اللغة الصعبة. وتستدعي هذه القضية قانوناً لغوياً عاماً يُعنى بالجمع والوضع، ويؤسس لوضع معجم نموذجي يجمع بين

[1] -عبد الغني أبو العزم. "مقدمة معجم الغني الزاهر"، مجلة الدراسات المعجمية المغربية، ع 9-10، ربيع الأول 1435، يناير 2014، ص8.

[2] - على القاسمي. "علم اللغة وصناعة المعجم"، ط2، مطابع جامعة الملك سعود، 1411هـ/1991م، ص 14.

الدقة العلمية والشمولية اللغوية. إنها قضية أزلية، لكنها لا تزال تحتاج إلى المزيد من الدراسة والبحث لتطوير معاجم لغوية أكثر تطوراً ودقة[3].

تتطلب دراسة المعجم اللغوي طرح قضايا اللسانيات المختلفة، مثل الصوتيات والصرف والتركيب والمعجم. وفي ظل هذه القضايا، قام اللغويون بتحديد الوظائف الأساسية للمعجم، والتي تشمل توضيح الأصوات اللغوية وتصنيفها، وتنظيم الصرف وتطبيقه، وتحليل التركيب النحوي، وتوثيق المفردات اللغوية وتصنيفها. إن فهم هذه الوظائف أمر ضروري لفهم طبيعة المعجم وأهميته في دراسة اللغة.

يُعد التعريف أحد العناصر الأساسية في المعجم، حيث يكتسب أهميته من خلال خصائصه الفريدة. فهو يُبرز المدخل الرئيسي وترتيبه، كما يتضمن النص المعرّف، والذي يُطلق عليه القدامى اسم "الشرف والتفسير". ويتألف النص المعجمي من عدة عناصر أساسية، وهي: ذكر المعنى، بيان النطق، تحديد الرسم الإملائي، التأصيل الاشتقاقي، المعلومات الصرفية والنحوية، ومعلومات الاستعمال. هذه العناصر مجتمعة تشكل بنية المعجم وتوفر للمستخدمين معلومات شاملة ودقيقة حول الكلمات والمفردات.

تختلف الوظائف الأساسية للمعجم في ترتيب أولوياتها، حيث يحتل "المعنى" الصدارة في اهتمامات اللغويين. فهو يعتبر المطلب الأساسي لمستخدمي المعاجم والقواميس، حيث يسعون للحصول على تعريف دقيق وواضح للمفردات. لذلك، يولي اللغويون أهمية قصوى لتوضيح المعاني وتفسيرها بشكل دقيق، مما يجعل المعنى العنصر الأبرز والأهم في بنية المعجم[4].

تربط الرؤية اللسانية لمستخدم القاموس أو المعجم بينه وبين الفكر والمعرفة اللغوية. فهي تكشف له أن مدخل القاموس ومفاهيمه لا تقتصر على المفردات فقط، بل تشمل المقولات الأساسية للغة، مثل الصوتيات والصرف والتركيب. كما توفر له معلومات قيمة حول المستلزمات اللغوية والثقافية التي تساهم في توسيع مداركه وزيادة معارفه. إن هذه الرؤية الشاملة للمعجم تساعد المستخدم على فهم اللغة بشكل أعمق وأكثر شمولية[5].

يستفيد مستخدمو المعاجم والقواميس من الرؤية اللسانية الشاملة، والتي تتيح لهم الغوص في تحليل المعنى الوظيفي للكلمات. فهي تُعنى بدراسة الصوتيات والصرف والنحو، وتكشف العلاقات المبررة بين

---

[3] -محمد رشاد الحمزاوي."المعجمية مقدمة نظرية و مطبقة/مصطلحاتها و مفاهيمها"، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004م، ص 15.

[4] -أحمد مختار عمر."صناعة المعجم الحديث"، ص 115-116.

[5] -عيسى مومني."صناعة المعجم الحديث: مفاهيم و تقنيات و مناهج"، ص 189.

المفردة ومعناها. كما تساهم في إثراء الشروحات من خلال الاستقراءات الواسعة، مما يعزز خبرة المستخدم بالمعنى ويفتح أمامه آفاقاً جديدة لفهم اللغة واستخدامها بشكل أكثر دقة وثراء[6].

أولا: تحليل المعنى الوظيفي: ويبرز المعنى الوظيفي في المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي.

أ- التعريف الصوتي:

يُعد التعريف الصوتي أحد العناصر المهمة في المعجم، حيث يسلط الضوء على التحوّلات الصوتية التي تحدث في الكلمات. فهو يتناول قضايا المماثلة بين الصوامت وأشباه الصوامت والحركات، مثل الإدغام. كما يبرز الجانب الصوتي النطقي بوضوح في شكل حرف المضارعة، حيث يقدم معلومات لغوية قيمة حول صيغ الأفعال في الماضي والمصدر. إنّ التعريف الصوتي يساعد في فهم التغيرات الصوتية التي تحدث في اللغة، ممّا يُعزّز فهم المستخدمين للكلمات ومخارج الحروف[7].

ب- التعريف الصرفي:

يُعد التعريف الصرفي عنصراً أساسياً في المعجم، حيث يوفر للقارئ فكرة أولية عن موقع المدخل اللغوي قبل الغوص في معانيه. فهو يساعد في التمييز بين أشكال الصيغ المختلفة، ويوضح الغاية الدلالية لكل صيغة. إن التعريف الصرفي يُعد أداة مهمة لفهم بنية الكلمة وتركيبها، مما يساهم في تعزيز فهم المستخدمين للغة وتطورها[8].

ت- التعريف النحوي:

يهدف التعريف النحوي إلى توضيح المقولات النحوية المختلفة ودلالاتها، حيث يساعد في تمييز صياغة الأفعال في الماضي والمضارع، وتصنيف معاني الأدوات النحوية واستخداماتها. كما يُعنى بتعريف الأسماء بالألف واللام، مما يُسهم في فهم بنية الجملة وتركيبها. إن التعريف النحوي يُعد أداة أساسية لفهم اللغة وقواعدها، حيث يساعد في توضيح العلاقات النحوية بين الكلمات.

ثانيا: المعنى من خلال العلاقات المبرّرة: ويظهر في التعريف الدلالي، والبلاغي، والمجازي، والأسلوبي.

أ- التعريف الدلالي:

يُعد التعريف الدلالي أحد العناصر الأساسية في المعجم، حيث يهدف إلى توضيح المعنى الاسمي للكلمة. ويتم ذلك من خلال استخدام المرادف أو الضد أو الإحالة. كما يتضمن التعريف الدلالي الجانب المنطقي، والذي يُعنى بطبيعة الشيء ووظيفته، وهو شائع في المعاجم العلمية والتكنولوجية. بالإضافة

---

[6] -المرجع نفسه، ص ن.

[7] -نفسه، ص 142-143.

[8] - محمد رشاد الحمزاوي."المعجمية مقدمة نظرية و مطبقة/مصطلحاتها و مفاهيمها"، ص 108.

إلى ذلك، هناك التعريف البنيوي، والذي يُعرّف الشيء من خلال ما يعوضه في السياق نفسه. إن التعريف الدلالي يساعد في فهم المعنى المقصود للكلمة وعلاقتها بالسياق اللغوي[9].

ب- التعريف البلاغي:

يبرز التعريف البلاغي في المعجم من خلال علم البيان، حيث يُستخدم لشرح طبيعة المعنى المعجمي وتعدد احتمالاته. ففي مادة "عَجَزَ"، يظهر الجانب البلاغي من خلال الصور المختلفة للعجز، مثل مؤخر كل شيء، والشطر الأخير من بيت الشعر. ويُستخدم التعبير "أعجاز" للدلالة على أواخر الأشياء، سواء كانت نخل أو أمور. وهذا التعبير ينتقل من معنى إلى آخر بسبب العلاقة بينهما، مما يخلق تعددية في المعنى. ويأتي المعنى المعجمي للكلمة، وهو مؤخرة كل شيء، كاحتمال أولي، ثم تتدرج المعاني الأخرى في علاقة المشابهة بين الشطر الأخير من بيت الشعر وأعجاز النخل والأمور، حيث تنتقل من المحسوس إلى المجرد[10].

ت- التعريف المجازي:

يُعد التعريف المجازي أحد العناصر المهمة في المعجم، حيث يتطلب تتبع تطور المداخل اللغوية حسب سياقاتها المختلفة عبر الزمان والمكان. فيرصد المعنى المستخدم قديماً وتطوره إلى معنى جديد، مثل انتقال الفعل "ركّز" من تثبيت الشيء في الأرض إلى مجرد المشابهة والمحاكاة، كما في "ركّز فكره" أو "ركّز المحلول". وكذلك الحال مع الفعل "مثّل"، حيث انتقل من معنى "مثّل بالقتيل" إلى فن التمثيل الحديث. إنّ التعريف المجازي يساعد في فهم التغيرات الدلالية للكلمات وتطورها عبر الزمن. [11]. ومثل هذه المجازات كثيرة في المعجم العربي.

ث- التعريف الأسلوبي:

يُعنى التعريف الأسلوبي في المعجم بتوضيح الأساليب اللغوية التي تعتبر عدولاً عن المعيار المعتاد. فيرصد صانع المعجم مستويات الكلام وخصائصه التعبيرية، مثل استخدام جمع مفردة "العدل" للدلالة على الإنصاف، أو "الشاهد" للدلالة على الشاهد بين الناس. كما يُعنى التعريف الأسلوبي بفك شفرات تعدد المعنى، مثل استخدام كلمة "اعتدل" للدلالة على التوسط بين حالين، أو "جو معتدل" للدلالة على التوازن بين الحرارة والبرودة. بالإضافة إلى ذلك، يُشير التعريف الأسلوبي إلى الأبعاد الثقافية

---

[9] -المرجع نفسه، ص ن.

[10] - عيسى مومني."صناعة المعجم الحديث: مفاهيم و تقنيات و مناهج"، ص 181.

[11] -إبراهيم السامرائي."من سعة العربية"،ط1، دار الجيل، بيروت، 1994م، ص 110.

والاجتماعية والعقدية من خلال استخدام عبارات مثل "قالوا" أو "نسبة إلى مجهول". إن التعريف الأسلوبي يساعد في فهم التنوع اللغوي واستخداماته المختلفة[12].

يُعد بيان النطق أحد العناصر المهمة في المعجم، حيث يتم من خلال ضبط الكلمة بالشكل وتحديد رسمها الإملائي. كما يهتم المعجم بالتأصيل الاشتقاقي، من خلال ضبط أصول الكلمات وبيان علاقاتها الاشتقاقية. بالإضافة إلى ذلك، يحرص المعجم على إبراز المعلومات الصرفية والنحوية، وتحديد مستوى اللفظ ودرجته في الاستعمال. كما يقدم المعجم معلومات موسوعية عن الأشياء والأعلام والأحداث التاريخية والمصطلحات العلمية. ويهدف التعريف في المعجم إلى إيضاح المعاني المختلفة للمفردات وتبيان دلالتها. وبذلك، يحقق المعجم معجمية اللسانيات الحديثة بشموليتها، حيث يجمع بين علوم الصوتيات والصرف والنحو والدلالة والبلاغة والأسلوب. إن المعجم يتجاوز كونه مجرد قائمة من المفردات، بل هو كفاية لسانية ورؤية حضارية، حيث يربط بين المعجمي والموسوعي، ويكشف عن العلاقات بين اللغة والمعرفة.

[12] - عيسى مومني."صناعة المعجم الحديث: مفاهيم و تقنيات و مناهج"، ص 183-184.